تمثّلات المرأة نفسيّاً في قصص علي السّباعي

الدكتور نعيم عموري، أستاذ مشارك بجامعة شهيد تشمران أهواز-اهواز-إيران(الكاتب المسؤول)
الدكتور حسن دادخواه تهرانى، أستاذ بجامعة شهيد تشمران أهواز-اهواز- إيران
مرتضى كامل عبد، طالب ماجستير- جامعة شهيد تشمران أهواز-اهواز-إيران

Psychological representations of women in the stories of Ali al-Sibai

Dr. Naeem Amouri
Assistant Professor at Shahid Chamran University of Ahvaz-Ahvaz-Iran (Responsible author)
n.amouri@scu.ac.ir
Dr. Hassan Dadkhah Tehrani
Professor at Shahid Chamran University of Ahvaz-Ahvaz- Iran
Murtadha Kamil Abed
Master student- Arabic Language and Literature - Shahid Chamran University of Ahvaz-Ahvaz- Iran
mka19851985a@gmail.com

Abstract:
The Arab story dealt with many issues that pertain to woman, and The Arab story dealt with many issues that pertain to woman, and authors differed in the way of dealing with these issues. They differed in presenting them, but they reffered to the circumstances and conditions experinced by "woman at that stage. One of the most important issues addressed by the writers are murraige, Love and advantures .Psychological side, the sadness and the sufering were clear on the characters because of the social situation to Iraqi women, there fore it effect herself which effection psychological side of human it was not easy what lagi woman experinced. There fore it effecte herseft that is suferring from hopeless, grief and pain. I staries In Ali. Sibai's stories, the woman's roles were veried from psychological side. Also her image appears through the visualization. It is expression. of self-perception. It collects the adjectives and features that people use in order to define them.
Key word, woman, sadness and it's derivatives Society

الملخص:
عالجت القصة العربية العديد من القضايا التي تخص المرأة، واختلف الكتّاب في طريقة معالجة هذه القضايا، وتباينوا في عرضها لكنها أشارت إلى الظروف والأوضاع التي عاشتها المرأة في تلك المرحلة، ومن أهم القضايا التي عالجوها كتاب القصّة (الزواج، الحب، المغامرات)[١]. ومن الناحية النفسية فقد غلب طابع الحزن والأسى على الشخصيات وكل ذلك نتيجة الأوضاع الاجتماعية التي تؤثر لا محالة على الجانب النفسي للإنسان، فما مرّت به المرأة العراقية لم يكن سهلاً وكلّ ذلك أثّر على نفسها التي كان يشوبها اليأس والحزن والألم، وفي قصص علي السباعي تتنوع تمثلات المرأة من الناحية النفسية وتظهر صورتها من خلال التصوّر الذي تتخيله لنفسها أو الذي

(١) ينظر: هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩م : ٦٤.

تصنعه، كما هي تعبير عن الإدراك الحسّي الذاتي، أو هي تجمّع الصفات والسمات التي يستعملها الناس من أجل التعريف بها فتارةً تظهر مأزومه أو محايدة وتارةً منسجمة مع ذاتها.

الكلمات الدلالية: علي السباعي، المرأة، الشخصية، الحزن ومشتقاته، المجتمع.

المقدمة:

يحاول الباحث الوصول وتحديد الشخصيات الانثوية المقهورة والمأزومة عبر منهج تحليلي، متأملا النصوص القصصية تأملا واعيا عبر العودة الى المجتمع الذي تعيش فيه الشخصيات بوصفها نماذج انسانية تمثل الحياة وتجسد واقعها فلابد من استبطان الشخصيات وسبر اغوارها وما تعانيه من انفعالات واهواء ودراسة افعالها لنصل الى رغباتها المكبوتة، ومن اجل الوصول لأهداف البحث نجد الاسئلة الاتية:

١- ما الطريقة التي كشف فيها القاص عن شخصياته المأزومه، والكيفية التي جعلت من شخصياته عنصرا قصصيا حيويا في اطار الصنعة القصصية؟.

٢- القصة جنس أدبي هدفه الامتاع بالدرجة الاولى، ولكن له وظيفة ثقافية ايضا فهل زاوج القاص بين الواقع والخيال؟.

خلفية البحث:

كثيرة هي الدراسات السابقة التي وقفت عن صورة المرأة في المجتمعات العربية والشرقية والتي وجد الباحث فيها ما يعينه على الكتابة في قصص علي السباعي التي لم يسبق ان وصلت اليه ايدي الباحثين في هذا المجال، فحاولنا ان نسلط الضوء على صورة المرأة في نتاجه القصصي. وقبلها نقف عند نبذة عن حياة القاص علي السباعي وادبه.

اولاً/ علي السباعي / حياته وادبه.

ولد القاص العراقي المعروف علي عبد الحسين صالح السباعي في مدينة الناصرية في يوم الخميس ١٠ / حزيران / ١٩٧٠،الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وسمي بالسباعي نسبة الى عشيرة السباعيين التابعة الى عشيرة بني طي, واعتبر ذلك اليوم حدثاً كبيراً؛ لان العائلة وبالأخص والديه كان ينتظران ذلك اليوم بلهفة ورغبة منقطعة النظير. نشأ القاص علي السباعي، وعاش في مدينته الناصرية التي لم يغادرها، وكانت على مر الازمنة ملتقى ومركز للثقافات والابداع والتميز، وتتلمذ في اسرة محبة للعلم والثقافة، بالإضافة الى والده المهندس، كان خالة يشغل منصب رئيس اللجنة المحلية في الناصرية في سبعينات القرن المنصرم، واثرت الثقافة البيئية لمدينة الناصرية على القاص, فمدينته كانت مركزا للثقافة والابداع, وقد تخرج منها العديد من الادباء والفنانين والشعراء والكتاب، مما كان له دور كبير في التأثير على حياة القاص السباعي الذي اكمل تعليمة الابتدائي في المدرسة المركزية المختلطة في الناصرية وتخرج منها عام ١٩٨١م حاصدا النجاح والتفوق، ليلتحق في مدرسة ٣٠تموز المتوسطة، وقد تخرج منها عام ١٩٨٥م، وقد برزت موهبته من الخط والرسم , وبعد ان يأس من محاولاته للدخول في معهد الفنون الجميلة الذي رفض طلبه, التحق عام ١٩٨٨م بجامعة بغداد / كلية الهندسة – قسم الكهرباء، وتخرج منها عام ١٩٩٣م، ليحمل شهادة البكالوريوس في هندسة الكهرباء [١].

(١) مقابلة شخصية اجراها الباحث مع القاص, بتاريخ ١٥ / ٦ / ٢٠٢١.

وتأتي ثقافة القاص عن طريق القراءة الدؤوبة للكثير من كتب الدين والتاريخ، وبالأخص قراءة القران الكريم الذي نهل منه الرمز القصصي, فضلاً عن قراءته الكثيرة لكتب التراث العربي والشعبي، وما جادت به ذاكرته من حفظ للحكايات الشعبية والاساطير، والاغراق في الخيال مما تذكرة النساء والرجال كبار السن من سرديات شعبية(١).

وعلي السباعي قاص عراقيٌ له بصته الخاصة على خريطة القصة الحديثة في العراق والوطن العربي، يكتب القصة بصدق الاحساس، وخفة الحلم، ينصت لصمت الموت، لنبض الحياة، بنزعة انسانية صادقة بداخله، قصصه تعلن التمرد على الواقع، والثورة على الانماط والاشكال السائدة، والكتابة القصصية لدى علي السباعي فعلُ وجود الحدث والمكان بطلان لنصه القصصي، والسخرية المرّة سيدة الموقف، يتميز بنزوعه نحو الاسطورة واقتباسه من الموروث الشعبي مطعماً ذلك آماد الواقع، يتدفق السرد لديه بعناقيد أسطورية. وله العديد من الاعمال القصصية ومن اشهرها:

١- ايقاعات الزمن الراقص.

٢-زليخات يوسف.

٣-احتراق مملكة زامانا.

٤-بنات الخائبات.

٥-مدونات ارملة جندي مجهول.

ثانياً: تمثّلات المرأة المنسجمة مع ذاتها.

جاءت المرأة بصورة الإنسانة المنسجمة مع ذاتها ذات الشخصية المكتملة التي لا تحتاج الى تغييرها، فهي تعلم حقّاً من تكون وماذا تريد، امرأة قوية متوازنة في قصص علي السباعي ومن ذلك في قصة(تحرّش) فالشابة الجميلة التي ركبت في الباص بعد خروجها من مستشفى الولادة لم تكن لديها شكوك في حياتها تنطلق من ثقة واعتزاز كبيرين، وبالتالي لم تهتم بكل الممارسات الصبيانية التي قام بها المراهق وهو يتحرش بها فلا تكترث به أبداً مهما حاول وتمادى، وهذا ما يدلّل على الثقة الكبيرة والفهم الواعي الذي تعيشه الشخصية برضاها التام عن نفسها، ولكن تظهر معاناة الشابة وما عاشته في مجتمعها والذي انعكس بتصرفات المتحرش وتميز جانبها الباطني بالحزن والتعب من شرور البشر " **ركبت معنا شابة جميلة في الباص، جلس بجانبها مراهق كان يتبعها حال خروجها من مستشفى الولادة راح يتحرش بها وهي صامته كأنها تمثال على مرأى من الركاب،.....تنفجر الدموع غزيرةً من عينيها السوداوين تُغرقُ وجهها الشاحب عندما أوغل في اللمس، تثور في وجهه صارخة ودموعها تغطي وجهها المفجوع..**"(٢). وأما الشابة الخرساء في قصة(خرساء) فقد استطاعت بثقتها واعتدادها بنفسها أن تتصدى لكل المحاولات التي قُدّمت إليها طلباً للزواج منها، وهي تتحدى كل محاولات الإغراء، تتمكن من الدفاع عن نفسها والتخلص من الزواج، ومن كل الضغوطات التي عاشتها مبررة بذلك " **مخافة أن يبكي طفلهما وهما نائمان**"(٣).والقاص يرسم شخصيته بأدق التفاصيل، ولم يحجب عنها كل وصف مظهري(٤).

---

(١) مقابلة شخصية اجراها الباحث مع القاص, بتاريخ ١٥ / ٦ / ٢٠٢١.

(٢) مدوّنات أرملة جندي مجهول: ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه: ٧٤.

(٣) ينظر: بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م:٢٢٣.

وتكرّرت صورة المرأة الواثقة بتفكيرها وقد حددت علاقاتها الاجتماعية والشخصية بالمفهوم الذي ترتضيه عارفةً بالنتيجة الحتمية لما تفكر به ومثال ذلك في قصة(ليزا) طالبة كلية الهندسة والتي حدّد السارد مظاهرها الشخصية وأوصافها " **بعينين زرقاوين مثل سماءٍ صافية، وجدتها ذات ضحىً مختبئة في ممرٍ قصيٍ عن أعين الطلاب، وبثقةٍ عالية تسألهُ: أعندكَ قدّاحة؟**

قلتُ: نعم

قالت: يعني تدخّن... إذن أعطني سيجارة "[١].

فقد استطاعت أن تنهض بالمرأة التي بداخلها، وتلغي التهميش والاضطهاد وتحقيق ذاتها بالرضا والاستقلالية والثقة التي تحلّت بها.

وفي قصّة(استهزاء) حاول الكاتب أن يجمع شخصية تمتلك القوة والصدق مع ذاتها، ونجد الصورة تمثلت في صاحبة العجيزة وهي داعرة وشمت عليها " **نفط العرب للعرب** "[٢] في لقطة تهكمية لإنسانة تملك ذكاءً خارقاً واعتداداً بالنفس وثقة عالية بما تفعل وتشعر برضا تام لما قامت به، فكانت لها شخصيتها الخاصة المستقلة عن غيرها التي لا ترتضي بإملاءات المجتمع.

وغالبا ما تمثل الشخصية القصصية رؤية الكاتب؛ ففيها من فكره ومواقفه من الحياة والناس والقضايا الحيوية في مجتمع الكاتب الشيء الكثي[٣]، وهذا ما لمسناه من معالجة السباعي لشخصياته.

وبشخصية المرأة الواثقة من نفسها، المحبّة لذاتها، المدافعة عن رأيها تأتي امرأة معاقة تسير بعكازين تدلي بصوتها الانتخابي، وذلك في قصة (انتخابات)، " **سألتها: لمَ أتيتِ؟ قالت بثقةٍ: لأنّني معوّقة، وزوجة لأعور وعمري سبعون عاماً، وعشتُ حياتي كلها لم يكن لي رأي فيها أصبح لي صوت، وصار يؤخذ برأيي...**"[٤].

فالمرأة العجوز تعرف كيف تضبط تفكيرها بطريقة سليمة، فهي من تقود كيف تسير مجريات حياتها ومشاركتها في الانتخابات دون أن يملي عليها أحدٌ ما، وهذا ما يدلّل على الانسجام التام مع نفسها وثقتها المطلقة برأيها وفكرها.

وفي قصة(أرملة) تحضر شخصية امرأة أرملة قوية تخرس في وجوه الناس الواقفة طوابير لشراء الخبز أيام الحرب، ولكن المرأة الأرملة لم تقف في طابور النساء الطويل جداً وتصطف بكل ثقة في طابور الرجال، وعندما سُئلَت عن السبب قالت: "**وهل هناكَ رجال حتى أقفَ في صفّهم...**" [٥]، قالت ذلك بلغة الواثقة من نفسها بجدّية المؤمنة من تصرفها وتفكيرها فإن لشخصية تلك المرأة حضوراً قوياً في النص فهي تحررت من كل الضغوطات والقيود التي كانت تسيطر عليها، وتخلصت منها من خلال الانسجام بينها وبين ما تفكر به، والصدق مع عواطفها ومشاعرها ورضاها التام عن كل ما يصدر منه... أفعالها... تصرفاتها... أفكارها التي كانت منسجمة تماماً مع شخصيتها وهي توجه نقدها اللاذع لصف الرجال متجاهلتهم تماماً، غير راضية عما آلت إليه الأمور وسط الحرب،

---

(١) مدونات أرملة جندي مجهول: ٨٣.

(٢) ألواحُ من وصايا الجد: ١٨.

(٣) ينظر: سماحة ، فريال كامل، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩م:٣١.

(٤) ألواحُ من وصايا الجد: ٣٧.

(٥) مدونات أرملة جندي مجهول: ١٢.

الخراب، الجوع، الدما. ونلحظ ان اغلب الشخصيات النسائية في قصص السباعي نمطية لا يطرأ على مواقفها اي تغيير من بداية القص الى نهايته، فهي تشبه صورة الواقع وان تعدت احيانا صورتها العادية لتتحول الى شخصية نموذجية ترمز الى فئة معينة(١).

ويقدّم القاصّ في قصّة(تظاهرة في ساحة التحرير) شخصية منسجمة مع ذاتها وتتمثل بامرأة عراقية ترفع يافطة كتب عليها: " **اتقوا الله وتزوجوا مثنى وثلاث ورباع... أنقذونا من العنوسة...**"(٢)، فالشخصية ذكية، واعية، مثابرة، واثقة من خطواتها، تريد أن تُغيّر المفاهيم التقليدية السائدة حول المرأة، وترفض أن تكون تابعة للرجال في كل شيء، فهي من تقرّر مصيرها، وتدعو في الزواج وهذا ينبع من قوّة وإرادة وعناد صلب فهي امرأة معتدة بنفسها، واثقة منها، تريد أن تغير المفاهيم الخاطئة في التعامل مع المرأة وهو الضعف وعدم القدرة على الإنتاج والحياة (٣).

وأراد السارد أن يجعل من شخصية طالبة كلية الفنون الجميلة في قصة(الشمس تغلق أبوابها) شخصية منسجمة مع ذاتها، قوية من خلال موقفها الصادم الى الطلاب وهم يسألونها لماذا ترتجف وتشعر بالبرد في حزيران قالت: "**ألوان قميصك باردة...**"(٤)، وهذا ما يثري النص ويجعل من الشخصية امرأة قوية تختار الكلمة وتعطي القول الفصل بإتقان العارفة في أمورها.

وفي قصة(النافذة) يتألق الخطاب السردي في طرح إشكالية الحياة المعاصرة، وتعدّد ألوانها ومصادرة الحرية فيها على مختلف المستويات، يأتي صوت المرأة المنسجمة مع ذاتها يتفاعل بحوارية مدهشة مع صوت السارد فيحقق هذا الحوار مؤثرات الحياة وخيباتها وإيجابياتها " **هيا يا ولدي لنحطم كل الأقداح ونكسر تلك المائدة اللعينة ونحطم النافذة، لأن السفينة وصلت الى الميناء الآمن يا ولدي...**"(٥)، فثقة الشخصية بخطواتها أولى لتحقيق الرضا للذات والوصول للنجاحات، وهي نقطة الانطلاق للوصول الى ما تريده النفس الواثقة من أهداف.

ونجد هناك التداخل المادي بالروحي والمعقول باللامعقول والتراث بالمعاصر في قصة(طائر الهزار) هذا التداخل الجميل في البنية الفنية للنص القائمة على الحوار مقترض من أجل إنقاذ نفسها وشهرزاد هي الساردة التاريخية لـ(ألف ليلة وليلة) وحكايتها مع الملك تؤسس بارقة أمل للخلاص وبشريات المستقبل "**إنها الحياة يا طائري، قدرنا هكذا! عندها تألق شوقهُ محمولاً على نقاط المطر، ليصرخ بها مودّعاً:**

لن أيأسَ أبداً... أبداً.

حرّكَ جناحيهِ مودِّعاً أن: الى اللقاء" (٦) .

وهكذا يلوّح ضوء سعيد يتوارى مع الأمل الذي يصنعهُ طائر الهزار مع شهرزاد العصر وهي تعيش إشكاليات حياتية كبرى، والقصة لا نلمح فيها الموت واليأس والضياع بل تعالج الأمور بموضوعية وغزل رقيق في سرب مرتب يرافقهُ وصف جميل لعيون المحبوبة وقوامها " إنهما عيناك يا غالية، وقوامك الممشوق..."(٧).

---

(٢) ينظر: وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، القاهرة(د.ت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م:٥٥.

(٢) ألواح من وصايا الجد: ٧٩.

(٣) ينظر: عبد الهادي، فيحاء، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، دراسات أدبية، القاهرة، ١٩٩٧م:٩٢.

(٤) مدونات أرملة جندي مجهول: ٨٦.

(٥) إيقاعات الزمن الراقص: ٣٦.

(٦) ايقاعات الزمن الراقص : ٣٤.

(٧) مسلة الاحزان السومري: ٢١ـ٢٣ .

ونجد شخصية أنثوية ملكتها الثقة بنفسها فكان بحراً تعبر عليه للوصول الى النجاح والتميز في أكثر المواقف صعوبة، ومن ذلك شخصية ليلى في قصة(إعلان وفاة ليلى) التي التفت حولها الأحداث لتكشف عن محوريتها داخل العمل السردي، فالشخصية(ليلى) أرملة مرت بظروف عصيبة بسبب الحرب والدمار، ابنها يصاب بحالة نفسية وابنتها تموت " **إصابة ابني الصغير بمرض نفسي بعد انفجار سيارة مفخخة في مكان قريب جدا منه في بغداد، توفيت ابنتي بسكتة قلبية مفاجئة ولكن ليلى الشخصية المنسجمة مع ذاتها تتنهد وتقول نجوت فقدان زوجي أصح ذكرى منسية وتحارب التفتت الروحي والبدني والانسلاخ من جوف الحياة لتبني مستقبلها رغم مرارة الأحداث**".

ثانياً: تمثّلات المرأة المأزومه.

يهيمن السرد على إبراز الشخصيات داخل العمل القصصي بوصفه نموذجاً إنسانياً يمثل الحياة ويجسّد الواقع، فلا بدَّ من استبطان الشخصيات وسير أغوارها النفسية من خلال انفعالها وأهوائها ودراسة أفعالها لنصل الى دواخلها [١].

والقاص علي السباعي ركّز على كشف صورة المرأة المأزومه المضطهدة في مجتمعها العراقي، مدقّقاً وموضحاً أحداث المجتمع وويلاته، وإنَّ معظم قصص السباعي تدور حول ما يعانيه الفقراء وسعيهم المتواصل لكسب عيشهم، وما يلاقي هؤلاء من ظلم واستغلال، وتصوير ما يختلج في نفس المرأة من أحاسيس ومشاعر ونوازع مكبوتة وحرمان عاطفي، وأظهر القاص تعابيرها الأنثوية واضحة وجليّة في الكثير من القصص التي عرضها للمرأة الأم والحبيبة والزوجة مسحوقةً كانت أو مبتذلة وسنحاول تتبع صورة المرأة المأزومه وما تعانيه طبقتها المسحوقة المعدمة.

وأول هذه الشخصيات المأزومه في قصة (أبكم)[٢] وموضوعها الرئيس (الحب) الذي هيمن بشكل مباشر على السرد وبطلتها شابة من عائلة ميسورة أحبها زميلها في الكلية، ورفض أبوها تزويجها له لأنهُ معدم الحال، قامت بحرق نفسها حتى الموت بسبب فقد حبيبها المرفوض بسبب الفجوة الاجتماعية على ما يبدو، فالشخصية تأزمت وعانت العزلة والوجوم من حياتها، وإن تراكم هذه الأحاسيس المزدرية لحالتها انتهيت الى هذا الكم من خيبة الأمل بانتحارها محرقة نفسها، ولولا تعنّت والدها ورفضه للزواج من حبيبها الذي انهارَ هو الآخر وأُصيبَ بالبُكم، لما فقدت الشابة بريقها، والقاص ترك للشخصية حرية الحركة والتعبير عن نفسها، مستعملة مشاعرها الداخلية واحاسيسها[٣] ومن القصص الأخرى التي تناولت موضوع الشخصية المأزومه نجد أنفسنا أمام حالة رغبة جدية وحرمان تتوحد مع محاولة امرأة الحصول عليها من مجنون وذلك في قصة (الجميلة والمجنون)[٤] التي رسمها الكاتب في هيأة امرأة جميلة شاهدت مجنوناً يبيع الأقمشة وقد تدلى عضوه الذكري الكبير الطويل العريض فأخذت بمراودته عن نفسه، ومن ثم ضاجعتهُ بشبق عجيب فإن ثمة حرمان عاطفي وفراغ من الحنان المفقود وليس الحب هو من كان الدافع للفعل فالشخصية تعاني من أزمة داخلية وكان انفراج التأزم كامناً في تداعيات رغباتها كي تعيش اللحظة وتعود الى اللحظة الواقعية، فمن بنية سردية ابتدأت بمعادية فعل محرم وانتهت بالوصول الى النشوة الكبرى،

---

(١) ينظر: فاضل، صفاء الدين أحمد، عوالم الشخصيات المأزومه في قصص أمنيات معطلة، مجلة الادب، العدد١١١،الملحق٢٠١٥،١م: ٣٢.

(٢) ألواح من وصايا الجد: ٧٧.

(١) ينظر: نجم، محمد يوسف، فن القصة، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٥م: ٩٤.

(٤) المصدر نفسه : ٦٨.

وهذا الفعل لم يوصل الذات الى التوازن، ولكنها تعاطت مع الموقف والأشياء برغبة جامحة وقد وجدت في فعلتها حلّاً لأزمتها الباطنية دون أن تكترث للتداعيات المحيرة والمربكة.

وما كان لأزمة الشابة الجميلة أن تنفرج إلا بعد أن تعي ذاتها أن هيامها كان خداعاً ووهماً بالنظر لظروف المجتمع حتى تسلّم نفسها للواقع وتستعد للرجوع الى محيطها الذي كان سبباً في التأزّم النفسي.

ومن أنماط الشخصيات الأخرى (لبليث) التي أغوت الشاب (آدم) في قصة (آدم والتفاحة المحرّمة)[١] ومارست معه الجنس رغم إنهُ مصاب بمتلازمة داون لكنها استطاعت إغواءهُ، فالأزمة التي تعانيها الشابة هي أزمة مجتمع يحرم المرأة من الحصول على الزوج المناسب الذي يسد رغباتها ويوفر لها الحماية والحياة الكريمة ويوقّر وجودها الإنساني المحترم وبغياب ذلك نجد صدى الخيانة الزوجية واستفحال (الزنا) وهي أزمة الكبت والحرمان اللذان يشكلان البنيات الأساسية اللازمة الجنسية (الجنس مع المجنون، المريض، الرجل الكبير) فإن هذه الشخصية مأزومه يشغلها موضوع الجنس والعشق، وضمن قصص المجموعة التي تتناول ذات الموضوع (الجنس، الخيانة، الإغواء) قصة (حزام النار)[٢] وهي تتناول شخصية امرأة شابة جميلة تشتكي زوجها الى مركز الشرطة بادعائها أن زوجها أحرق جسدها بجمرة سيجارته، وبعد التحقيق مع زوجها اتضح أنها تعاني أزمات نفسية تتمثل برغبتها الشديدة بخيانة زوجها وممارسة الجنس مع عشيقها سائق سيارة الأجرة، وهي من طلبت أن يكويها زوجها على شكل حزام يحيط خصرها حتى لا تعود لفعلها ويصفح عنها زوجها وتتجلى مأساة أخلاقية في النصّ نجح الكاتب في إثراء وتشكيل عمله بجعل أزمة شخصية أنثوية مأزومه داخل النص ولم يكن السرد مسكّناً باطن الشخصية فأتت مسطحة بعض الشيء ولكنها تمثل شريحة اجتماعية متأزمة، شخصية يغلب عليها الخيانة الزوجية لإرضاء رغباتها وإشباع حاجتها ومعالجة ما يعتمل في داخلها من إحساس بالخيانة والرغبة من عشيق على حساب زوجها وكرامته، وجاءت الشخصية المأزومه خالقة وفاعلة لأحداث القصة وفي صراعها مع الآخر ومع نفسها، فهي بنت المجتمع الذي نشأت فيه، وهو بالطبع مجتمع مأزوم يعاني الكثير فجاءت الشخصية مأزومه بدرجة تأزم المجتمع؛ لأن القصة مرآة عاكسة للمجتمع.

وتمثل المرأة التي تزوج عليها زوجها ثانية وذهبت إليه وقتلته وذلك في قصة(كتوم)[٣]، فالمرأة نموذجاً للمرأة المأزومه التي تعاني من تلك الأزمة حين تسعى الى إثبات ذاتها في الحياة الواقعية العملية التي طالما أقصيت منها ووضعت على هامشها حين كانت تعيش في كنف الرجل، فهي تعاني من أزمة نفسية تمثلت بالزواج عليها قسراً وبالتالي هذا التأزم كان كافياً لقدومها على فعلتها بقتل زوجها انتقاماً لكرامتها المهدورة كما تظن هي، وإن حياتها أضحت بلا هدف ومن ثم فهي بلا قيمة فوجودها وعدمها سيّان، فهي تشعر بالإلغاء والتهميش من حياة زوجها وهذا الصراع النفسي الطويل كان السبب والدافع للفعل.

أما في قصة (غنوة)[٤] ، فنجد صورة أخرى لشخصية تعاني الأزمات النفسية، فالشابة الجميلة التي أدمنت شرب الخمر مع غروب الشمس حتى يطبق الليل سكونه وسطوته، تعاني من سلب إرادتها في حياتها بعد أن تركها خطيبها المسيحي بائع الخمر مما دفعها الى السكر وكتابة الرسائل الغرامية مع البكاء فالشعور بالضياع وطمس

(١) ألواح من وصايا الجد: ٨٣.
(٢) المصدر نفسه : ٣٠.
(٣) مدونات أرملة جندي مجهول: ٩٦.
(٤) المصدر نفسه : ٨٠.

الحياة التي تربت بها كان دافعاً لقدومها على ذلك فانفصلت عن الكون وتحولت الى إنسانة أخرى تعاني القلق والتوتر والخوف من المصير المجهول "كنتُ كل ليلة أكتب رسالة حبٍّ كانت غنوة تملي عليّ أشواقها ولواعجها وعذاباتها وفقدانها على شكل أغنية جنوبية حزينة" [١] ، إن الحدث المتمثل بتركها كان له أثراً بالغاً في حياتها وهي تحس أن شيئاً خطيراً سيقع في حياتها هذا الإحساس ينتابها كل يوم ويتكرر معها مما جعل منها شخصية مأزومه.

ومن الشخصيات المأزومه التي تحمل في داخلها بقايا لأنثى يعتصر قلبها الوجع والحزن (تاجية) في قصة (عرس في المقبرة)[٢] ، والقصة بحق صورة من الحالات الاجتماعية المريرة وهي بيع البنات الى دار النخاسة لأجل توفير لقمة العيش، تلك صدمة كبرى لم تتحملها الأم التي صارت تعاني أزمات نفسية وتوتر قادها الى الجنون فسكنت المقبرة، والقصة صورت المرأة في معاناتها وسحقها وما يختلج في نفسها من نوازع مكبوتة وحرمان من بناتها، فصوّر الكاتب نفسيتها الحزينة المضطربة وفي ذلك تصوير دقيق لصورة من صور الظلم الاجتماعي الواقع على بطلة القصة وما هذا الظلم الا جزء من ظلم عام وقع على ابناء المجتمع نتيجة الظروف القاسية التي يعيشونها.

وهذه نماذج من الشخصيات المأزومه التي حفلت بها قصص علي السباعي ولم تتحدث عن كافة الشخصيات ولكن هذه هي الثيمات الغالبة في المجموعة.

ثالثاً: تمثلات المرأة الضحيّة.

إن قضية المرأة تفتح الآفاق الواسعة والمتشعبة عن طريق البحث عن النوافذ المطلة على الوضع الاجتماعي، ولا شكّ أن كل المؤشرات الناجمة عنها ستكون متداخلة في القاعدة الاجتماعية باعتبارها الحاضنة الرئيسية للمرأة التي يتركز عليها مجرى أوضاعها الاجتماعية في مجتمعها المنغلق في تقاليده، والتي تحولت الى أعراف وعادات وقوانين كانت سبباً في جعل المرأة تعيش دوامة الفقر والتخلف وضياع حقوقها الأخرى كالتعليم والحرية ومشاركة الرجل في العمل والحب وغيرها.

فجاءت المرأة مقيدة مكبلة بعرف اجتماعي وبتقاليد حالت دون تقدمها ونجاحها، فضلاً عن الظروف التي تسود المجتمع من حرب وحصار وويلات ألقت بظلالها وانعكاساتها على المرأة فكانت مقهورة وضحية، والقاص علي السباعي منذ بداية إنتاجه الأدبي أعطى للمرأة ولوضعها الاجتماعي والنفسي اهتماماً كبيراً في كتاباته، وحاول تصويرها وتسليط الضوء على قوتها وضعفها واهتم بمشاكلها الحقيقية (الحرمان، القيود، الظروف المعيشية) وهذا ما تجسد في الكثير من قصص علي السباعي، ومن ذلك ما نراه في قصة (ورود الغابة) فنجد صورة المرأة المضطهدة والمظلومة غير قادرة على دفع الأذى عن نفسها، فالأمير هو الظالم لحقها وشرفها وعزتها برغبته العارمة في اختطافها كزوجة له أو خليلة، والمرأة ضحية نزواته وهيجانه أراد أن يسرقها من زوجها حين اشتهى ذلك الجسد ورفضت أن تكون لقمته السائغة أو أن تُرضي ذلك الطموح المشبع بالرغبات، فقد هبّت ضحية الشرف " **دخيلك يا مولاي! افعل بي ما تشاء ودع زوجتي لحال سبيلها، جلجلت ضحكة الأمير، فتمطى النمر متثائباً، قال الأمير آمراً حراسهُ: عرّوها!** "[٣]، وإنها جريمة وحشية وضحيتها امرأة عاجزة أمام جبروت الأمير الظالم الفاسد.

---

(١) المصدر نفسه: ٨٠.

(٢) إيقاعات الزمن الراقص: ١٠.

(٣) إيقاعات الزمن الراقص:٥٨ـ٥٩.

والقاص علي السباعي يطرح قضية المرأة التي كانت ضحية رغبات مجنونة وأهواء محمومة شهوانية مركزاً على هذا الموضوع بشكل كبير وواضح يظهر من خلال دفاعه عن المرأة الضحية.

ونجد ذلك أيضاً في قصة عرائس بثياب الفرح، فالمرأة تقع فريسة الظالم والطاغي وضحية جبروت(عتودة العبد الأسود) الذي يتلذذ بفض بكارة الفتيات الحسناوات دون حول ولا قوة لهنّ قائلاً:

"**تعم عندما أفضّ بكارات الصبايا أجد نفسي سيداً...**"(١).

أما في قصة الأيادي المتعبة، فالمرأة هنا عاجزة وهي تعيش ازدواجية مؤلمة تجعلها مزيجاً أسطورياً من امرأة طائر فلا هي طائر، ولا هي امرأة حرف، إنما هي عالقة في هذا الحال المسخ الذي تشبه حياتها المفصومة التي تعيشها في واقعها الحياتي، عندها تطلب من بطل القصة وصديقه أن يحررها مما هي فيه "**حرراني من ازدواجيتي فأنا منكودة الطالع**"(٢)ولكنهما يفشلان في ذلك فتبقى عالقة مربكة محزونة تحلق نحو البعيد محملة بفجيعتها وعدم قدرتها على الانعتاق مما هي فيه.

في حين نجد المرأة ضحية العداء، وهي تبحث عن موضع محترم ومقدر بين الناس، تواجه المصاعب والمشاكل من أجل أن يتقبلها الآخر وهذا ما حدث في قصة الحاج مغني على الرغم من الرصاص الذي مزق ثوبه من قبل أبنائه في سعيهم لثني الحاج عن عزمه في الاحتفاظ بحبيبته إلا أنهُ يقاوم بشراسة حتى استعاد حبيبته قائلاً: "شعرتُ بمتعة لا حدود لها، وأنا أستردّك، وحينما لمستك ولدت فيَّ ملايين الخلايا..."(٣).

وتطرّق السباعي الى صورة من صور القهر الاجتماعي التي كانت فيها المرأة ضحية الفقر والعوز من خلال(التسول) لسد الحاجة المعاشية، فهي تبق تبعاً للظروف الاقتصادية الصعبة والاستغلال الاقتصادي الذي لو امتلكته لمكّنها من التفكير بحقيقة الحياة، والبحث عما يحقّق إنسانيتها ولكنها تبدو في قمة السلبية والعجز (٤).

وهذا ما نلحظه في قصة عشق ذاكرة النهر إذ قدّم علي السباعي شخصية نسائية انبعثت من جذر اجتماعي وهي تتسول مرتدية سروالاً رجالياً أزرقاً إذ تذهب المتسولة ضحية مجتمع لم يتطبع من توفير مستلزمات الحياة التي تحفظ كرامتها، ممن يسبب لها الظلم والإضعاف والاستسلام، فتقع المرأة المتسولة ضحية مجتمع عاث لا يهمه سوى الأطماع، فالفقر والعوز من أهم المشاكل التي وقف عليها السباعي معالجاً، إذ اهتم بهذا الجانب في الكثير من قصصه، وولج عالم الفقراء من النساء مجسداً مشاعرهن، وتكوّن حياتهن بالبؤس والشقاء والحرمان العاطفي والنفسي (٥)، وتأتي صورة المرأة الضحية في قصص السباعي حافلة بالمشاعر الإنسانية بطعم عذب يشبه مرارة الواقع، واختلالاته عبر لغة ترصد الحياة بحروبها وحصارها وهذا ما يتجسد في قصة إعلان وفاة ليلى إذ تعاني المرأة التفتت الروحي والبدني وسرمدية الحزن والفقد والانسلاخ من جوف الحياة النابض بالألم راحت ليلى ضحية الحرب الواقعة على مجتمعها، إذ تفقد زوجها، وبسبب انفجار سيارة مفخخة يصاب ابنها بحالة نفسية، ثم تتوفى ابنتها بسكتة قلبية بعد أن خطبها داعشي، كل هذه الظروف ذهبت بليلى الى حالة من اليأس والقهر جعلتها أرملة تمر بظروف عصيبة جراء الحرب والدمار والانفجار.

---

(١) بنات الخائبات: ١٨.

(١) ايقاعات الزمن الراقص: ٨٨.

(٣) المصدر نفسه: ٧٨.

(٤) ينظر: عبيدات أرو، صورة المرأة في الرواية العربية، ط١،١٩٩٥م، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن،٣٨.

(٥) مقابلة مع القاص أجراها الباحث بتاريخ: ٢٠٢١/٨/١٥م.

وفي قصة سيجارة الضابط العراقي نجد صورة أخرى للمرأة الضحية (زوجة الشهيد) التي خلّف موت زوجها المآسي والمتاعب، وأضاف معاناة جديدة لحياتها، مما جعلها ضحية أخرى في مجتمع لا يبالي بمعاناة الآخرين، فكانت زوجة الشهيد ضحية أوضاع وظروف مرحلة راهنة عاشتها المرأة في تلك الفترة.

ووقف السباعي في قصصه القصيرة جداً على فجائع النساء الضحايا المغلوب على أمرهن من قبل أزواجهن أو مجتمعهن عل حدّ سواء، ومن تلك القصص ضحية المرأة المفجوعة بموت أبنائها.

" **سمراء متشحة بالسواد، تجلس أمام إحدى بوابات القصر الجمهوري تضعُ دُميةً بلاستيكيةً في حضنها... تُناغيها بلا ملل، سألت عنها، قالوا إن القوات الأمريكية قتلت طفلتها وزوجها بالخطأ...**"[١].

وفي قصة (عرس) تكون المرأة صورة من صور المأساة العراقية التي عانتها المرأة إبان الغزو الأمريكي واحتلاله للعراق قبيل زفافهما "**ينظر عريس عروسه أمام مصففة الشعر... انفجرت سيارة مفخخة هزت بغداد راح ضحيتها أناس كثر عند أهل العروسين الى زفافهما بموكب عرس جميل الى المقبرة...**"[٢].

وفي قصة (تجّار ميزوبوتاميا) تعيش المرأة حالة فقر كبير وهي تستجدي في مقهى التجار مقوسة الظهر، ولم تحصل على أي شيء، وبعد إن طلب منها الخروج من المقهى لمخالطتها الرجال، تقول بغضب وعتب واضحين واستهزاء وأين هم الرجال [٣].

وتتكرر معاناة المرأة التي تصبح ضحية قناص أمريكي غادر فتفجع بموت زوجها وذلك في قصة (قناص)، فيما تذهب بنات الجيران ضحية لعبة الأطفال الورقية إبان حرب الثمانينيات... وهم أي الأطفال يصنعون من دفاترهم صواريخ ورقية ويطلقونها على بنات جيرانهم وهذا ما جاء في قصة (غزل).

والحالة تتكرر في قصة (سندريلا)، فالرجل ريفي يرفض إملاءات زوجته وطلبها بإزالة صورة الفنانة(سعاد حسني) من غرفتهما، وتظل متمسكة برغبتها، وهو مصرّ عل رأيه حتى ينتهي الأمر بطلاقها. هذه نماذج من صورة المرأة الضحية التي لقيت أشكال التعذيب وتعاني الظلم والفقر.

الخاتمة والنتائج:

لقد عرضت هذه الدراسة صورة المرأة المأزومه للقاص علي السباعي حاول البحث الوقوف على واقع المرأة المعيش، ومشاركة قرينها الرجل الزوج والحبيب والاخ والوالد والصديق، كما حاول ابراز معاناتها في دواخل نفسيتها الحزينة المضطربة مع تباين واضح في نماذج النصوص القصصية التي عرضها. ومن اهم النتائج التي وصل اليها الباحث:

١- تدور اغلب القصص على ما تعانيه الطبقة الوسطى والمسحوقة وسعي افرادها الى كسب رزقهم وما تلاقيه من ظلم واستغلال في مجتمع شرقي تهيمن عليه الذكورية.

٢- ركز القاص على تصوير واقع المرأة وما يختلج نفسها من نوازع الكبت والحرمان العاطفي والوجداني.

٣- لغة الكاتب علي السباعي ترصد الحياة العراقية بحروبها وحصاراتها, لغة ترصد بتأمل وبإيحاء بتمرد, بعبث, بجنون, لغة بلاغية عالية تخدم الفكرة التي يحاول التطرق إليها بأسلوبه المبتكر الجديد .

٤-احتلت المرأة وهمومها ومشاكلها جزءاً كبيراً من نصوص علي السباعي حيث وصفها بالمرأة القوية والضعيفة والمعدمة وجاءت صورة أخرى كالمرأة الفقيرة والغنية والأم والزوجة الحبيبة .

---

(١) مدونات أرملة جندي مجهول: ١٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ٩٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٥.

المصادر والمراجع:

١. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)ط١، بيروت، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠م.
٢. السباعي، علي، الواح من وصايا الجد، منشورات أحمد المالكي، ط١، ٢٠١٩م.
٣. السباعي، علي، ايقاعات الزمن الراقص، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م.
٤. السباعي، علي، بنات الخائبات، دار ميزوبوتاميا ، ط١، ٢٠١٤م.
٥. السباعي، علي، مدونات ارملة جندي مجهول، دار ميزوبوتاميا لطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٤م.
٦. السباعي، علي، مسلة الاحزان السومري، دار الدراويش للنشر والترجمة، بلغاريا، بلو فديف، ط١، ٢٠١٨م.
٧. عبد الهادي، فيحاء، نماذج المرأة البطل في الرواية الفلسطينية، دراسات أدبية، القاهرة، ١٩٩٧م.
٨. عبيدات، أرو، صورة المرأة في الرواية العربية، ط١، ١٩٩٥م، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن.
٩. فاضل، صفاء الدين أحمد، عوالم الشخصيات المأزومه في قصص أمنيات معطلة، مجلة الادب، العدد١١١،الملحق٢٠١٥،١م .
١٠. سماحة ، فريال كامل، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٩م.
١١. نجم، محمد يوسف، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،ط١، ١٩٥٥م
١٢. هيكل، أحمد، الأدب القصصي والمسرحي في مصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٣. وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، القاهرة(د.ت)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩م.
١٤. نجم، محمد يوسف، فن القصة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،ط١، ١٩٥٥م.

Sources and references:

1. Bahrawy, Hassan, The Structure of the Narrative Form (Space, Time, Personality), 1st Edition, Beirut, Arab Cultural Center, 1990 AD.
2. Al-Sebaei, Ali, Tablets from the Grandfather's Commandments, Ahmed Al-Maliki Publications, 1st edition, 2019 AD.
3. Al-Sebaei, Ali, Rhythms of the Dancing Time, from the publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2002.
4. Al-Sebaei, Ali, The Disappointed Girls, Dar Mesopotamia, 1st edition, 2014 AD.
5. Al-Sebaei, Ali, Blogs of the Widow of an Unknown Soldier, Dar Mesopotamia for Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, 2014 AD.
6. Al-Sebaei, Ali, The Sumerian Obelisk of Sorrows, Dar Al-Darwish for Publishing and Translation, Bulgaria, Blue Fdev, 1st edition, 2018 AD.
7. Abd al-Hadi, Fayhaa, Models of the Heroic Woman in the Palestinian Novel, Literary Studies, Cairo, 1997.
8. Obeidat, Arrow, The Image of Women in the Arabic Novel, 1st Edition, 1995 AD, Publications of the Ministry of Culture, Amman, Jordan.
9. Fadil, Safaa Al-Din Ahmed, The Worlds of Crippled Personalities in Stories of Broken Wishes, Al-Adab Magazine, Issue 111, Appendix 1, 2015 AD.
10. Samaha, Ferial Kamel, Character Drawing in Hanna Mina Novels, 1st Edition, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 1999.

11. Najm, Muhammad Youssef, The Art of the Story, Beirut House for Printing and Publishing, Beirut, 1st Edition, 1955 AD
12. Heikal, Ahmed, Fictional and Dramatic Literature in Egypt, Dar Al-Maarif, Cairo, 1979 AD.
13. Wadi, Taha, Studies in the Criticism of the Novel, Cairo (D.T), the Egyptian General Book Organization, 1989 AD.
14. Najm, Muhammad Youssef, The Art of the Story, Beirut House for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition, 1955 AD.